

محاضرات وكلمات توجيهية

تم تحميل هذه المادة من موقع:

الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد

<http://fac.ksu.edu.sa/saleid1>

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفه مع آية

قال تعالى : { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون }^(١) .

قال ابن رجب^(٢) (رحمه الله تعالى) هذه الآية كانت تشتد على الخائفين العارفين ، فإنها تقتضي أن من العباد من يبدو له عند لقاء الله تعالى ما لم يكن يحتسب ، مثل أن يكون غافلاً عما بين يديه ، معرضاً عنه ، غير ملتفت إليه ، ولا يحتسب له ، فإذا كشف الغطاء عاين تلك الأهوال الفظيعة ، فبدا له ما لم يكن في حسابه^(٣) .

ولهذا قال عمر (رضي الله عنه) : { لو أن لي ملك الأرض لافتديت من هول المطلع^(٤) } . وقال بعض السلف : كم موقف خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط . ونظير هذا قوله تعالى : { لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد }^(٥) .

حال السلف مع هذه الآية

قال ابن عيينة : لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة^(٦) جزع فدعوا له أبا حازم فجاء ، فقال له ابن المنكدر : إن الله يقول { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون } فأخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب . فجعلنا يبكيان جميعاً^(٧) .

-
- ١ - سورة الزمر ، جزء من الآية ٤٧ .
 - ٢ - في كتابه المحجة في سير الدلجة ص ٨٨ .
 - ٣ - إشارة إلى قوله تعالى : { لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد } .
 - ٤ - رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ٥٢ .
 - ٥ - سورة ق ، الآية ٢٢ .
 - ٦ - بن عبد الله بن الهدير ، أبو عبد الله القرشي التميمي المدني ، كان حافظاً سيد القراء وهو مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل ، توفي سنة ثلاثين ومائة (التذكرة ١ / ١٢٧ ت ١١٤) .
 - ٧ - قال ابن رجب : خرج ابن أبي حاتم . وزاد ابن أبي الدنيا ، فقال له أهله دعوناك لتخفف عليه فزدته ، فأخبرهم بما قال . انظر : ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٢ / ١٦٧ ت ١٨٥ .

وقال الفضيل بن عياض^(١) أخبرت عن سليمان التيمي^(٢) أنه قيل له : أنت أنت ومن مثلك ؟ فقال : لا تقولوا هذا ، لا أدري ما يبدو لي من الله ، سمعت الله يقول { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون }^(٣) .

وذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أصناف من هذه حالهم كما يلي :-

١ - **الكفار** الذين يعملون أعمالاً يحسبون أنها حسنات فإذا هي سيئات ، قال الفضيل بن عياض (رحمه الله تعالى) في هذه الآية {وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون } قال : عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات .

٢ - **من يحتقر الذنب** : وذلك أن الإنسان يعمل ذنباً فيحتقره ويستهون به ، فيكون هو سبب هلاكه ، كما قال تعالى : {وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم }^(٤) . وقال أنس (رضي الله عنه) : { إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر ، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ص الموبقات }^(٥) . وعن سهل ابن سعد (رضي الله عنه) رفعه : { فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه }^(٦) . وعن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه قال : { إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها ، وينسى المحقرات فيلقى الله بها وقد أحاطت به ، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقاً حتى يلقى الله آمناً }^(٧)

١ - أبو علي التيمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم ، ثقة كبير الشأن ، توفي سنة ١٨٧ وقد جاوز الثمانين (التذكرة ، ١ / ٢٤٦ ت ٢٣٢) .

٢ - بن طرخان القيسي ، يكنى أبا المعتمر ، قال عنه يحيى بن سعيد : ما جلست إلى رجل أخوف لله منه ، مات سنة ١٣٩ . (صفة الصفوة ٣ / ٢٩٦ ت ٥٢٨ ، التذكرة ١ / ١٥٠ ت ١٤٥) .

٣ - الأثر ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٠ ت ١٤٥) .

٤ - سورة النور الآية ١٥ .

٥ - أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٩٢ .

٦ - رواه ابن حجر في الفتح ١١ / ٣٢٩ ، وقال أخرجه أحمد بسند حسن ، ونحوه عند أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود .

٧ - رواه ابن حجر في الفتح ١١ / ٣٣٠ .

تجنب بجهدك ما كان عاراً وما في معادك يصلحك ناراً
وخف يوم يطلب كل امريء لما قد يرى من أخيه الفرار
ولا تحقرن صغار الذنوب فيوم الحساب تراها كبارا

٣- من زين له سوء عمله فرآه حسناً . كما قال تعالى { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا }^(١)
. قال ابن كثير في هذه الآية : { هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية ، يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطيء ، وعمله مردود }^(٢)

٤- أهل الريا . كان سفيان الثوري يقول : ويل لأهل الريا من هذه الآية^(٣) ، ويشهد لهذا حديث الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار يوم القيامة^(٤) .

٥- صاحب الظلم . يأتي يوم القيامة وقد عمل أعمالاً صالحة ، وكانت عليه مظالم ، فهو يظن أن أعماله تنجيه ، فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب ، فيقتسم الغرماء أعماله كلها ، ثم يفضل لهم فضل ، فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار ، ويدل على هذا حديث أتدرون من المفلس^(٥) .

٦- من يناقش الحساب يوم القيامة، فقد يطلب منه شكر النعم ، فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها ، وتبقى بقية النعم ، فيطالب بشكرها فيعذب ، ولهذا قال رسول الله ص : { من نوقش^(٦) الحساب عذب أو هلك }^(٧) .

١ - سورة الكهف ، الآية ١٠٤ ، ١٠٥ .

٢ - تفسير ابن كثير ٣ / ١٠٨ .

٣ - ذكره القرطبي في تفسيره ١٥ / ١٧٣ .

٤ - الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة رقم ١٩٠٥ .

٥ - وحديث أتدرون من المفلس متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب المظالم وكتاب الرقاق ، ومسلم في كتاب البر حديث رقم ٢٥٨١ .

٦ - من النقش وهو استخراج الشوكة ، والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل الحقير ، ووترك المسامحة . (ابن حجر ، فتح الباري ١١ / ٤٠١) .

٧ - متفق عليه ، البخاري ، كتاب الرقاق ٧ / ١٩٧ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها رقم ٢٨٧٦ .

٧- من يكون لها سيئات تحبط أعماله ، ففي سنن ابن ماجة من حديث ثوبان^(١) (رضي الله عنه) مرفوعاً : { لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تامة ، بيضاء فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً } قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا ، ألا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال : { أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، يأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها }^(٢) .

ماذا بعد

- الحذر من المحقرات والخوف منها .
 - التأمل في آيات الله والاستفادة منها .
 - الحذر من الرياء .
 - الحذر من الظلم .
 - صيانة الخلوات ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى .
- إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

١ - بن جُذْد أبو عبد الله الهاشمي ، مولى رسول الله ص ، قيل أن أصله من اليمن ، نزل حمص وتوفي فيها سنة ٥٤ (التهذيب ٢ / ٣١ ت ٥٤) .

٢ - أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ح ٤٢٤٥ ، وقال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٠٢٨ .